شخصية علي بن أبي طالب
ـكرم الله وجهه ـ
في شعر الصاحب بن عباد (٣٢٦ـ٣٨٥ ﻫ)

الدكتور خالد محمد الهزايمة
استاذ مساعد فى قسم العلوم الانسانية / جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية اربد ـ الأردن
الدكتور فرحان على القضاة
استاذ مساعد فى قسم العلوم الانسانية / جامعة العلوم و التكنولوجيا الأردنية اربد ـ الأردن
(از ص ٢٩٩ تا ٣١٦)

چكيده:

حظى على بن أبى طالب ـكرم الله وجهه ـ باهتمامٍ كثير من الشعراء، و منهم الصاحب بن عباد الذى تحدث فى شعره عن عليّ منوهاً به و بفضائله.

و ترمى هذه الدراسة الى استخلاص ما اشتمل عليه شعر الصاحب بن عباد من ملامح لشخصية علىّ، و الكشف عما كان لهذه الشخصية من علو المنزلة و سمو المقام.

لذا جعلنا هذه الدراسة تنصب على مسألتين، الاولى: جوانب شخصية علىّ فى شعر الصاحب، و الثانية: منزلة على فى شعر الصاحب. و قد أفدنا فى هذه الدراسة من عدة مؤلفات، و بخاصة القديمة منها، اذ انها تلقى الضوء على شعر الصاحب، و توضح كثيراً من معانيه و دلالاته.

المقدمة:

علی بن أبی طالب ـ کرم الله وجهه ـ (ت ۴۰ هـ - ۶۶۰ م) الخلیفة الرابع من الخلفاء الراشدین رضی الله عنهم، صحب منذ نعومة أظفاره الرسول الکریم، و جاهد معه فی الله تعالی حق جهاده، زاهداً فی الدنیا، راغباً فیما عند الله تعالی، مما جعله موضع اعجاب الباحثین و الشعراء، و منهم الصاحب بن عباد (ت ۳۸۵ هـ - ۹۹۵ م)، فقد تحدث فی شعره عن علی، فرسم له صور مشرقة، معدداً فضائله و مآثره التی لم یجتمع مثلها فی أحد غیره.

والهدف الذی یرنو الیه کاتبا هذا البحث هو تجلیة جوانب شخصیة علی الفذة فی شعر الصاحب، و بیان ما لهذه الشخصیة من المآثر و الفضائل، و لذا قام منهجهما علی دراسة شعر الصاحب، و استخراج ما فیه من حدیث عن أمیر المؤمنین علی، مستأنسین بالمصادر و المؤلفات المختلفة التی تعزز قول الصاحب و تزیده وضوحاً.

وقد جاءت هذه الدراسة منصبة علی البحث في مسألتین هما:

أ. جوانب شخصیة علی فی شعر الصاحب.

ب. منزلة علی فی شعر الصاحب.

أولا: جوانب شخصیة علی فی شعر الصاحب

شخصیة علی ـ کرم الله وجهه ـ عظیمة الاهمیة، فقد تأسست من أجلها المذاهب الدینیة (أمین، ۱۹۶۵ م، ص ۱۴۸)، و کانت سبباً فی کثرة شعراء الشیعة، لأن عقیدتهم دارت حولها. (القاضی. د. ت، ص ۵۵۵)، و منذ استشهاد علی ـ کرم الله وجهه ـ بقیت المآتم علی قتلی الشیعة قائمة فی العصر العباسی الأول، و العصور اللاحقة (ضیف، د. ت، ص ۱۷۴).

و قد نعت الصاحب بن عباد ـ فی شعره ـ الامام علیاً بأجل النعوت، غیر مکتف

بالصفات التى نعت بها الشيعة أئمتهم رضى الله عنهم، و هى الافضلية، و العصمة، والشجاعة، و العلم، و حسن الرأى. (انظر: الطوسى، الاقتصاد، ١٩٧٩ م، صص ٣٠٤ـ٣٠٩، ٣١١ـ٣١٢)، و انما أضاف اليها نعوتاً أخرى نعت بها الامام علياً سنذكرها فى هذا البحث ان شاء الله تعالى، فجاءت شخصية على ـ فى شعر الصاحب ـ متميزة مشتملة على عدة جوانب هى:

أ. الجانب العلمى:

يبدو على ـ كرم الله وجهه ـ فى شعر الصاحب عالماً كبيراً متفوقا على غيره من الناس مستغنيا عن علمهم. يقول الصاحب: (الصاحب بن عباد، ١٩٧٤ م، ص ٣٦)

و لم يک محتاجاً الى علم غـيره اذا احتاج قوم فى القضايا فبلدوا

و نظراً لسعة علم على فان الصاحب يسميه بحر العلم، فعلىّ بحر، و غيره من الناس و شل، أى ماء قليل (الفيروز آبادى، د.ت، ج ۴، ص ۶۵) و ما قيمة الماء القليل بالقياس الى البحر؟، يقول الصاحب: (الصاحب بن عباد، ١٩٧٤م، ص ٧١)

أنت الذى يُـدعى بـبحـ ـر العلم والقـوم و شَـلْ

و يبدو الصاحب متأثراً باسلوب علماء الكلام الذين يوردون الفكرة ثم يعززونها بالأدلة التى تثبت صحتها، و لذا نجده يستشهد على سعة علم على بالادلة التالية:

الأول: ان عليا كان مفتيا للمسلمين، يفتيهم فى المسائل التى تعرض لهم، و التى يعجز فيها غيره عن اعطاء الاجابة الشافية، و الصاحب متأثر بما يروى من رجـوع الصحابة ـ و منهم عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ الى على فى المسائل الصعبة، حتى قال: «لولا على لهلک عمر». (ابن شهر اشوب، ١٩٥٦م، ج ١، ص ٣١١). يقول الصاحب: (الصاحب بن عباد، ١٩٧٤م، ص ١١٠).

هل مثل فتواک اذ قالوا مـجاهرة لولا عـلىٌّ هـلكنا فـى فـتاوينا

الثانی: ما یروی من أن الرسول صلی الله علیه و سلم قال: «أنا مدینة العلم و علیٌّ بابها، فمن أراد العلم فلیأت الباب»(ابن شهر اشوب، ۱۹۵۶ م، ج ۱، ص ۳۲۰).

یقول الصاحب: (الصحاب بن عباد، ۱۹۷۴م، ص ۱۰۲)

کـان النـبی مـدینة العـلم التـی حوت الکمال و کنت أفـضل بـاب

الثالث: علم علی بالقضاء

کان علیٌّ ـ کرم الله وجهه ـ قاضیاً مشهوراً، شهد له بعلمه الواسع فی القـضاء، فکان اصحاب الرسول الکریم یقولون ان أقضی اهل المدینة علی. (ابن طولون، ۱۹۵۸ م، ص ۵۰)، حتی «انه یمکن القول و بغیر مراء أن وظیفة قاضی القضاة... کانت حکراً علی علی بن ابی طالب رضی الله عنه» (طعیمة، ۱۹۸۸ م، ص ۱۶). و قد عبر الصاحب عن ذلک مبینا تفوق علی فی مجال القضاء، فقال: (الصاحب بن عباد، ۱۹۷۴ م، ص ۷۰)

أنت الذي قـــد ظـــل أقـ ـضی الناسِ من غیر مـثلِ

ب. الجانب الحربی:

کان علی ـ کرم الله وجهه ـ من أشجع المقاتلین، و قد تحدث الصاحب بن عباد عن ذلک فی شعره، فصور علیا صندیداً مقداماً لا نظیر له فـی الشـجاعة، و ذکـر الصاحب مواقف متعددة تبدو شجاعة علی من خلالها، و منها:

أ. نوم علی فی فراش الرسول الکریم عندما هاجر من مکة الی المدینة المنورة، و ذلک لنصرة الرسول و رفع شأنه. یقول الصاحب: (الصاحب بن عباد، ۱۹۷۴ م، ص ۱۶۴)

قـد فـدی لیـلة الفـرا ش أخـــاه لیـــنصره

ب. ما کان من علی من البطولات و التضحیات و الثبات مع الرسول الکریم فی المواقف العصیبة، و الغزوات و الحروب، و من ذلک ما فعله علی بالمشرکین فی

معركة بدر، فقد صرع الكثيرين من المشركين و منهم الوليد بن عتبة، فقد صرعه على وكان ذلک فی السنة الثانية للهجرة، (أنـظر: الطـبری. د. ت. ج٢، ص ٤٥٥)، يـقول الصـاحب: (الصاحب بن عباد، ١٩٧٤ م، ص ١٢٢).

عجبت مـلائكة السـماء لحـربه فــی يـوم بـدر والجـهاد جـهاد
اذ شــاهدته والمــنون تــطيعه فــيمن يــهم بــخطفه و يكــاد
صرع الوليد بموقف شاب الولي ــد لهـوله و تـهاوت الاعـضاد

و قد تجلت شجاعة على فی غزوة خيبر التی حدثت فی السنة السابعة للهجرة، و يروی أن الرسول الكريم أعطی فيها الراية لعمر بن الخطاب رضی الله عنه، فذهب مع جماعة من المسلمين لمقاتلة اليهود، فلم يستطيعوا التغلب عليهم فرجعوا، و فی اليوم التالی أعطی الرسول الكريم الراية لعلی كرم الله وجـهه، فـذهب مـع بـعض الناس، فلقی اليهود، فقاتلهم و انتصر عليهم و قتل قائدهم المسمی مرحباً اليهودی، ففروا مذعورين. (النسائی، ١٩٨٧ م، صص ٣٨-٣٩) فقال الصاحب فی ذلک مصوراً علياً بطلا شجاعا يقود المسلمين، و يصلی اليهود بنار الحرب التی لم تنته الا بعد أن تحول اليهود الی رماد. يقول الصحاب: (الصاحب بن عباد، ١٩٧٤ م، ص ١٢٤).

لک يا عـلیّ دعـا النـبی بـخيبر والقوم قد كذبوا القتال و عادوا
فأخــذت رايـته بكـف عـودت عــادت نــصر لم تــزل تــعتاد
فصدقتهم حربا غـدت نـيرانـها ثــم انـثنت و المشـركون رمـاد

والصاحب ـ فی هذه الابيات ـ يوجه كلامه الی علی مباشرة كأنه حاضر أمامه، و ما ذاک الا لحضور علی فی نفسه، لذافهو يضفی علی أشعاره فی علی طابع الحوار، و هو حوار معبر يتغلغل الی داخل كل لفظ من ألفاظه مثيراً فيه القوة و الصراع.

وكان لعلی دور بارز فی معركة حنين ايضا، و قد تحدث الصاحب عن ثبات علی فيها و قد غشيته السيوف، فقال: «الصاحب بن عباد، ١٩٧٤ م، ص ٦٢)

و يا حنين احتفل لتنبیء عـن مــقامه و السـيوف تـغشاه

و یجعل الصاحب الحتوف تخشی علیا، و ملک الموت یتبع ما یفعله سیفه، و هذا تعبیر عما یروی من أن الرسول علیه الصلاة و السلام أخبر علیا ـ کرم الله وجهه ـ أن الله فضله علی سائر الانبیاء و المرسلین، و أن الفضل بعده علیه الصلاة و السلام لعلیّ کرم الله وجهه و للائمة من بعده، و أن الملائکة خدام لآل البیت و لمحبیهم. (ابن بابویه، ۱۹۶۳ م، ج ۱، ص ۵۵)

یقول الصاحب: (الصاحب بن عباد، ۱۹۷۴ م، صص ۶۱ـ۶۲)

ما ملک الموت غیر تابع ما　　یسیمه سیفه بیمناه
صولته فی هیاجه أجل　　أجل فان الحتوف تخشاه
والقدر الحتم عند طاعته　　یأمره دائما وینهاه

ونلاحظ من اشعار الصاحب أنه کان ذا عالم داخلی ثأثر ممزق، ملیء بمشاعر الحب لعلیّ والحقد علی اعدائه، و هو یرمی من هذه الأشعار الی بیان الحقیقة و کشفها، و هو عظیم الحرص علی دقة کلماته. و الصاحب یلتقی فی هذا مع شعراء الشیعة الاخرین فی هدفهم من تعداد مآثر علی، و یتمثل ذلک فی بیان ان علیا لیس کعامة الناس، و انما هو شخص مقدس. (ابو حلتم، ۱۹۹۰ م، ص ۱۴۵)

ویری الصاحب أن حروب علی کثیرة، و لها شان عظیم، و قد ترک الصاحب الحدیث عنها تجنبا للاطالة، یقول: (الصاحب بن عباد، ۱۹۷۴م، ص ۷۶)

ولتلک الحروب شأن عظیم　　فترکنا الاکثار للایجاز

ج. الجانب الدینی

التقوی والورع من العوامل المهمة فی رفع منزلة المرء، فاکرم الناس عند الله تعالی اتقاهم، و قد بلغ الامام علیّ فی هذا الجانب ذروته، مما حمل الصاحب علی الحدیث عن ذلک فی شعره محاولا ان یوفی علیا ـ کرم الله وجهه ـ حقه، فأورد بعض الامور التی تفرد بها علیّ، منذ الصغر، و هی:

أولاً: سبق عليّ الى الاسلام

روى أن عليا كان اول من أسلم، و عمره تسع سنوات، فكان يخرج مع الرسول الكريم مستخفيا عن اعمامه وقومه الى شعاب مكة فيصليان. (الطبرى، د. ت، ج ٢، ص ٣١٣)، فكان اول من صلى مع الرسول الكريم. (النسائى، ١٩٨٧ م، ص ٢٢). و قد عبر الصاحب عن ذلک، فقال: (الصاحب بن عباد، ١٩٧٤م، ص ١٠٧)

هل مثل سبقک فى الاسلام ان عـرفوا و هـــذه الخـــصلة الغـــراء تكـفينا

ثانياً: عدم سجود عليّ لصنم

ولماكان على أسلم و هو صغير فانه لم يسجد لصنم قط، و هو فى ذلک سائر على نهج الرسول الكريم، فى الوقت الذى كان غيره يعبد الاصنام و يسجد لها، و فى هذا يقول الصاحب: (الصاحب بن عباد، ١٩٧٤ م، ص ٣٦)

و ما عرف الاصنام و القوم سجد لهـا و هـو فـى أثـر النـبى يـوحِّد

و اذاكانت الطفولة المبكرة من حياة المرء هى الاساس فى تشكيل شخصيته، و هى التى تقرر سلوكه فى المراحل اللاحقة كما يرى بعض المنظرين. (صـالح، ١٩٨٦ م، ص٦٩) فان هذه المرحلة من حياة عليّ كانت ذات أثر كبير فى سلوكه فيما بعد، فقد كان و رعا تقيا عابداً لله تعالى عبادة عظيمة، لو قسمت ـ كما يقول الصاحب ـ بين الناس جميعا لكان لكل منهم حظ عظيم منها: (الصاحب بن عباد، ١٩٧٤ م، ص ١٢٥)

و عبادةً لو قُسِّمتْ بين الورى عـــاد العِـبَادُ وكُـلُّهم عُـبَّادُ

وكان هدف علىّ من جميع أعماله حماية الدين و رفع رايته، و لذا عدّه الصاحب هدية الله تعالى لرسوله الكريم، يقول الصاحب: (الصاحب بن عباد، ١٩٧٤ م، ص ١٦٢)

هـــاء: هـــدية ربـــه لنـبيه ياء: يقيم الدين و هو رضـى

د. جانب *الزهد*

الزهد فی الدنیا من الفضائل التی یمدح بها المرء، فهو دلیل علی کرم النفس و طهارتها من حب الشهوات و ملذات الدنیا، و هذا لا یتحقق الا للمؤمن الصادق فی ایمانه، و قد تحققت هذه الفضیلة لعلیّ کرم الله وجهه، لذا فقد تحدث الصاحب عن زهد علیّ فی الدنیا و ترفعه عن متاعها، فعده رب الزهد و العلم و الجهاد، و هذا دلیل علی تمیز علیّ بهذه الفضائل. یقول الصاحب: (الصاحب بن عباد، ۱۹۷۴ م، ص ۷۵)

یـا عـلی الذی عـلا عـن مـحاذٍ و سـمـا عـن مـقارنٍ و مـوازی
انت رب الجهاد والزهـد و العـلـ ـم و قربی فی مـوضع الاحـراز

و یعرف عن علیّ کرم الله وجهه انه کان صادقا فی زهده، و لم یکن صاحب شعارات دون تطبیق، فقال: «یا دنیا إلیّ تعرّضت، أم الیّ تشوّقت، لاحان حینک، هیهات، غُرِّي غیری، لا حاجة لی فیک قد طلقتک ثلاثاً، لا رجعة لی فیک».(ابن شهر اشوب، ۱۹۵۶ م، ج ۱، ص ۳۷۰).

و قد عبر الصاحب عن ذلک فقال: (الصاحب بن عباد، ۱۹۷۴ م، ص ۲۴۶)

مـن کـمولای عـلیّ زاهـدٌ طـلّق الدنـیا ثـلاثاً و وفـی

فعلی و فی بما قطعه علی نفسه من تطلیق الدنیا، و هذا دلیل علی زهده و قناعته، و قدیما قیل: «بالقناعة تحفظ علی الوجه قناعه»(الثعالبی، د. ت. ص ۱۲)

هـ. *الحلم*

کان علیّ ـ کرم الله وجهه ـ حلیما، و قد عبر الصاحب عن ذلک مبینا ان علیا کان واسع الصدر یغفر اساءة المسیئین، و فی هذا المجال ینکر الصاحب علی اعداء علی جحدهم فضله مع علمهم به، یقول: (الصاحب بن عباد، ۱۹۷۴م، ص ۱۵۰)

و کـیف قـد جـحدوه مع کـل فـضل و فـخر
عـلم و حـلم ونسک و بـذل عـمر و صـبر

و. هيبة علىّ

يبين الصاحب أن عليا ـ كرم الله وجهه ـ كان عزيز الجانب مهيبا يرهب الاعداء و الحساد، فحاز بذلک ما لم يحز غيره، يقول الصاحب: (الصاحب بن عباد، ١٩٧٤ م، ص ١٦١).

ز. الجانب النفسى (علىّ المظلوم):

يعد الجانب النفسى من أهم الجوانب فى الشخصية التى ينظر اليها بعض الباحثين «على أنها وحدة طبيعية، و يعزى الصراع الذى تعانى منه الشخصية الى الخبرات المؤلمة المبكرة» (صالح، ١٩٨٦م، ص ٦١) و اذا لم يجد المرء الثناء و التقدير من المجتمع فان هذا يكون عظيم الاثر فى نفسه، و قد يصاب بالاحباط عندما يرى أن المعطيات و التسهيلات البيئية. أمامه أقل مما ينشد فى أعماقه لتحقيق غاياته و أهدافه.(ابراهيم، ١٩٨٩ م، ص ٢٩)

و قد صور الصاحب فى شعره هذا الجانب النفسى من شخصية على كرم الله و جهه، فبدأ علىّ فى شعره عظيم الحزن و الانكسار، وذلک لانه تقدم عليه من هو دونه.

ويتضح الظلم الذى وقع على عليّ ـ كما يرى الصاحب ـ فى غصبه حقه فى أن يكون خليفة للمسلمين بعد الرسول الكريم، يقول الصحاب: (الصاحب بن عباد، ١٩٧٤ م. ص ٦٢).

و يا غدير انبسط لتسمعهم من كنت مولاه فهو مولاه

والصاحب فى هذا البيت يشير الى الرواية المشهورة و هى ان الرسول الكريم كان مع أصحابه فى سفر فنزلوا بغديرخم، فأخذ بيد على ثم قال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه و عاد من عاداه» (ابن حنبل، د.ت، ج ٤، ص ٢٨١)

فالصاحب يرى أن الرسول الكريم أوصى لعلىّ بالخلافة من بعده يوم غدير خم، و لكن أعداء على غصبوه حقه و خانوه، و قد كان لدى عليّ وعى ذاتى بما كان عليه

حاله من أخذ حقوقه، و لكنه آثر الصبر و السكوت عندما تولى ثلاثة من الخلفاء الراشدين الخلافة قبله. (ابن ابی الحدید، ۱۹۶۳ م، ج ۲، ص ۱۵۱، ۱۶۲) فالصاحب يرى كما يرى غيره من الشيعة بشكل عام ـ أن عليا أحق بالخلافة من غيره، لأنها جاءت بالنص و التعيين و ليست بالاختيار. (أبو حلتم، ۱۹۹۰ م، ص ۱۴۱) يقول الصاحب: (الصاحب بن عباد، ۱۹۷۴م، ص ۱۱۰).

هل مثل صبرک اذ خانوا و اذ ختروا حتى جرى ما جرى فی یوم صفینا

و هو يستلهم ـ فی هذا البيت ـ ما يروى من أن عليا ـ كرم الله وجهه ـ لم يحتج بالنص على أبی بكر رضی الله عنه، لأنه خشی فتنة يكون فيها قتله لانه لم يجد معينا، و لذا قال: «اما والله لو وجدت أعوانا لقاتلتهم» (الطوسی، الاقتصاد، ۱۹۷۹ م، ص ۳۳۵) و يستوحی الصاحب أيضا ما يروى من أن الرسول صلى الله عليه و سلم عانق عليا ثم بكی، فساله علیّ عن سبب بكائه، فبين له انه يبكی بسبب ضغانن قوم على علیّ لايبدونها له الا بعد وفاته صلى الله عليه وسلم. (الابی، ۱۹۸۱ م، ج ۱، ص ۲۴۱) فقال الصاحب فی ذلک متحدثاً عن اعداء عليّ بعد أن عدد مزاياه: (الصاحب بن عباد، ۱۹۷۴ م، ص ۱۵۰)

فلم جزوه بختلٍ ولم لقوه بغدر

و هكذا فقد عاش علي ـ كرم الله وجهه ـ صابرا يكظم غيظه، و يحمل نفسه على تناسی حقوقه، يقول الصاحب: (الصاحب بن عباد، ۱۹۷۴ م، ص ۱۴۰)

اعصم بحبل الله ذا رفعةٍ علک ان تلقاه مرحوما

ثُمّ علی بن أبی طالب خير امامٍ عاش مظلوما

والصاحب فی قوله هذا يتفق مع ما روی من أن عليا ـ كرم الله وجهه ـ قال: «لم أزل مظلوما منذ قبض رسول الله صلى الله عليه و سلم». (الطوسی، تلخيص الشافی، د.ت، ق ۲، من ج ۱، ص ۱۴۴)

و هكذا يتضح أن شعر الصاحب فی على يتصف بصفات شعر الشيعة فی آل

البيت الذى هو: «شعر عاطفى حزين حزناً بالغا متميزا حتى ليصدق عليه انه بكائيات حزينة».(القاضى، د. ت، ص ٣٩٩).

ثانياً: منزلة علىّ فى شعر الصاحب

نلاحظ من دراستنا اشعار الصاحب أن عليا ـ كرم الله وجهه ـ كان رفيع المنزلة سامى المقام، عالى الهمة، لايصل الى منزلته أحد، و قد فصل الصاحب القول فى هذا المجال، فركز حديثه على ثلاثة جوانب، هى:

الاول: منزلة علىّ لدى الصاحب.

الثانى: منزلة علىّ لدى الرسول الكريم

الثالث: منزلة علىّ لدى الله تعالى.

أ. منزلة علىّ لدى الصاحب

لعلىّ بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ لدى الصاحب منزلة عالية، فهو سيد الأئمة و الخلفاء لذا فان حبه دليل على علو الهمة. يقول الصاحب: (الصاحب بن عباد، ١٩٧٤ م، ص٢٧٥)

حب على علو همة لانه سيد الائمة

و علىّ أوحد الناس بعد الرسول عليه الصلاة و السلام، و هو ذو فضل عظيم يبلغ النجوم و الكواكب. يقول الصاحب: (الصاحب بن عباد، ١٩٧٤ م، ص ١٥٦)

هو أوحد بعد النبي ى المصطفى والحق واحدْ

و فخاره يتناول الز زهر الثواقب و هو قاعدْ

وقد سبق على الناس الى المعالى، ففات جميع طلابها، و هو متفوق فى هذا المجال، ويلجأ الصاحب الى التعبير عن هذا بعقد مشابهة بين على والشمس و الأسودْ، و من ثم تفضيل على عليها فى الشهرة و الظهور، فهو شمس و لكنها لا تأفل و

لا تغیب، و أسود و لکنها لم تختف و لم تستتر فی عرنها ـ یقول الصاحب: (الصاحب بن عباد، ۱۹۷۴ م، ص ۱۳۰)

سبق الوصی الی العلا طلابها　　حتی تملکها بغیر قرین
شمس و لکن لیس یغرب قرصها　　و ضیاغم لم تستتر بعرین

و لما کان علیّ ـ کرم الله وجهه ـ فریدا بین الناس فی صفاته و سمات شخصیته، فانه یستحق أن یمدح بالقصائد العجیبة الفریدة، لذا فان الصاحب یمدحه بفرائد القصائد، و فی هذا یقول الصاحب: (الصاحب بن عباد، ۱۹۷۴ م، ص ۱۵۸)

أنت الفرید و هذه　　فی وصف علیاک الفرائد

ب. منزلة علي لدی الرسول الکریم

یوضح الصاحب فی أشعاره أن علیا کان عالی المنزلة لدی الرسول الکریم، و مما یدل علی ذلک أن الرسول ـ صلی الله علیه و سلم ـ اختصه دون سائر الصحابة ببعض الاشیاء و منها:

أ. مؤاخاته علیا و جعله منزلته منه کمنزلة هارون من موسی، فقد روی أنه علیه الصلاة و السلام ـ قال لعلیّ: «أنت أخی فی الدنیا و الآخرة». (ابن شهر اشوب، ۱۹۵۶م، ج ۲، ص۳۳) و قال: «أنت منی بمنزلة هارون من موسی الا انه لا نبی بعدی».(النسائی، ۱۹۸۷ م، ص ۶۶) و قد تحدث الصاحب عن ذلک فقال: (الصاحب بن عباد، ۱۹۷۴ م، ص ۳۵)

علی أخو خیر النبیین فاخرسوا　　أو استبصروا فالرشد أدنی و أقصدُ

وقال: (الصاحب بن عباد، ۱۹۷۴ م، ص ۳۶)

وصیره هارونه بین أهله　　کهارون موسی فابحثوا و تأیدوا

ب. تزویجه علیا من ابنته فاطمة الزهراء رضی الله عنها، و ذلک لانه لم یر أحداً من الصحابة الذین تقدموا الیه یخطبونها قبل علی کفواً لها. (النسائی، ۱۹۸۷ م، ص ۱۱۴ـ۱۱۵). و قد تحدث الصاحب عن ذلک فقال: (الصاحب بن عباد، ۱۹۷۴ م، ص ۶۴)

أما عرفتم سمو منزله　　أما لحظتم علو مثواه
أما رأيتم محمدا حدبا　　عليه قد حاطه ورباه
زوجه بضعة النبوة اذ　　راه خير امرى و أتقاه

و يشير الصاحب ـ في البيت الاخير ـ الى ان الرسول عليه الصلاة و السلام ـ زوج عليا ابنته فاطمة الزهراء رضى الله عنها التى هى بضعة النبوة، كما أوضح ذلك الرسول الكريم فى قوله: «ان فاطمة بضعة منى يؤذينى ما اذاها و يريبنى ما رابها» (النسائى، ١٩٨٧ م، ص ١٢٢)، و قد فعل الرسول الكريم ذلك لأنه رأى عليا خير الناس و أكثر هم تقوى.

ج. حمل علىّ راية الرسول الكريم فى الحروب و المعارك، دون غيره، و فى ذلك يقول الصاحب: (الصاحب بن عباد، ١٩٧٤، ص ٦٩)

أنت الذى قد حمل الر　　اية فى كل وهل

د. خروج الرسول الكريم باهله ـ وفيهم على ـ لمباهلة نصارى نجران، و لكنهم لم يباهلوا الرسول الركيم لانهم علموا انه على حق. (ابن الصباغ المالكى، ١٩٦٢ م، صص ٥ـ٧)

هـ ما يروى من أن الرسول الكريم جلّل على اهله ـ و فيهم على ـ كساء، ثم قال: «اللهم هولاء أهل بيتى و خاصتى أذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا». (القندوزى، ١٩٦٥ م، ج ١، ص ١٢٥)

و. ان عليا دو ن غيره ـ كان يتولى خصف نعل الرسول الكريم، و قد عبر الصاحب عن هذه الامور الثلاثة الاخيرة بقوله: (الصاحب بن عباد، ١٩٧٤ م، ص ١٨٧)

و فى أى يوم لم يكن شمس يومه　　اذا قيل هذا يوم تقضى الماربُ
افى رفعه يوم التباهل قدره　　و ذلک مجد ـ ما علمت ـ مواظبُ
افى صمه يوم الكساء و قوله　　هم اهل بيتى حين جبريل حاسب
افى خصفه للنعل لما أحلّه　　بحيث تراءته النجوم الثواقبُ

ز. ما ذكر من توصية الرسول الكريم لعلى بالخلافة يوم غدير خم، حيث سمع

الایصاء جمیع الناس، فیتساءل الصاحب عن علیّ متی لم یکن شمس یومه، فیقول: (الصاحب بن عباد، ۱۹۷۴ م، ص ۱۸۷)

أفـی یـوم خـم اذ أشـاد بـذکره و قد سمع الایصاء جاء و ذاهبُ

ج. منزلة علیّ لدی الله تعالی:

یبین الصاحب فی شعره ان علیا ـکرم الله وجهه ـکان عالی المنزلة عند الله تعالی فی الدنیا و الاخرة.

أولاً: منزلة علی عند الله تعالی فی الدنیا

لعلیّ عند الله تعالی منزلة عالیة فی الدنیا کما یبین الصاحب، و قد حظی من ذلک بما لم یحظ به غیره من الصحابة، و مما یدل علی ارتفاع منزلة علی عند الله تعالی فی الدنیا ـکما یذکر الصاحب ـ ما یلی:

أ. ابقاء باب علی الی مسجد الرسول الکریم مفتوحاً، فی الوقت الذی أمر فیه الرسول الکریم باغلاق ابواب الصحابة بمن فیهم أهل بیته. و قد روی أن هذا کان من الرسول الکریم بأمر الله تعالی الیه بسد جمیع الابواب ما عدا بیت علی. (النسائی، ۱۹۸۷ م، ص ۵۵). و قد عبر الصاحب عن ذلک فقال: (الصاحب بن عباد، ۱۹۷۴ م، ص ۱۳۱)

قد سدت الابواب الا بابه لو کان یعرف موضع التبیین

ب. انزال الله تعالی بعض آیات القران الکریم بحق علی، و منها قوله تعالی: «انما ولیکم الله و رسوله و الذین آمنوا الذین یقیمون الصلاة و یؤتون الزکاة و هم راکعون».(سورة المائدة، الایة ۵۵). و لم یزک أحد فی حال رکوعه سواه». (الشیخ المفید، ۱۹۷۲ م، ص ۱۱). و قد أشار الصاحب الی ذلک بقوله: (الصاحب ابن عباد، ۱۹۷۴ م، ص ۱۰۹)

هل مثل برک فی حال الرکوع و ما زکـــا کـــبرک بـــرللمزکینا

ثانياً: منزلة علىّ لدى الله تعالى فى الآخرة

يتبين لنا من أشعار الصاحب أن عليا ـ كرم الله وجهه ـ ذو منزلة عالية عند الله تعالى فى الآخرة، حيث يخصه الله تعالى بأمور لا تكون لغيره، و يتمثل ذلك فى عدة أمور، منها:

الأول: هو أن عليا سيكون قسيم النار يوم القيامة، حيث يكون الناس قسمين، أحدهما مومن و الاخر ضال، فيأخذ على إلى الجنة أولياءه، و يترك الى النار اعداءه، فكانه قاسمها اياهم، فشطر لها و شطر له فى الجنة. (ابن شهر اشوب، ١٩٥٦ م، ج ٢، ص ٩). يقول الصاحب (الصاحب بن عباد، ١٩٧٤م، ص ٧٠)

انت الذى سيقسم النـ ـار ويردى ذا الدغلْ

الثانى: هو ان عليا سيكون مسئولا عن حوض الرسول الكريم يوم القيامة، يسقى منه من يريد، و يمنع من يريد. يقول الصاحب فى على (الصاحب بن عباد، ١٩٧٤ م، ص ٩٠):

يسقى بكأس النبى شيعته و فرقة الناصبين مكفوفة

أفديه شمسا ضياؤها أمم قد نزهت أن تكون مكسوفة

و الصاحب ـ فى البيت الثانى ـ يشبه عليا بالشمس المشرقة الواضحة الضياء التى لا يزرى بها كسوف.

الخاتمة:

يتبين لنا من هذا البحث أن الصاحب بن عباد رسم فى شعره صورة بديعة لشخصية أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه، فاشتملت شخصية على على كل مزايا الرجال العظام التى يندر أن تجتمع فى شخص واحد، فتعددت جوانبها و صفاتها، و تشابكت فيها الخصال الحميدة، و المناقب البديعة، لتشكل فى النهاية شخصية عظيمة متميزة، فاقت غيرها. فقد جمع على فى شخصيته ما بين العلم و البطولة، و تجلت بطولته فى شجاعته و اقدامه جنديا مقاتلا، و فى كفاءته

قائدا للمسلمين فی حرب الكافرين، و أضاف علیّ الی ذلک الورع و العبادة و الحلم و الزهد و الهيبة و علو الهمة، واتسمت نفسه ـ فی شعر الصاحب ـ بالحزن و الانكسار منذ وفاة الرسول الكريم لانه ادرک ان حقوقه مهضومة، و لكنه اثر البقاء كذلک حتی يلحق بالرسول الكريم مظلوما.

وقد تميز علیّ ـ كرم الله وجهه ـ بعلو منزلته لدی الصاحب بن عباد، فقدّ عده الصاحب سيد الائمة و الخلفاء، و أوحد الناس جميعاً بعد الرسول الكريم، كما كان علیّ ـ كرم الله وجهه ـ عالی المنزلة لدی الرسول صلی الله عليه و سلم الذی اختصه ببعض الامور، اذ آخاه، و زوجه ابنته فاطمة الزهراء رضی الله عنها و أرضاها، و جعله حامل رايته فی المعارک، و أوصی له بالخلافة من بعده.

و ليس ادل علی علو منزلة علیّ من سمو مقامه لدی الله ـ عز و جل ـ فی الدنيا و الاخرة، اما فی الدنيا فيتجلی ذلک فی أن الله تعالی قد اختص عليا بعض الامور، منها، أنه سبحانه امر الرسول الكريم با بقاء باب علیّ الی مسجد الرسول الكريم مفتوحا دون غيره من الابواب، و انه سبحانه و تعالی انزل بحق علی بغض آيات القرآن الكريم. و أما فی الآخرة، فقد اختص الله تعالی علياً بعدة أمور، منها: أنه سيكون قسيم الجنة و النار، و مسئولاً عن حوض الرسول الكريم.

وتقف شخصية علیّ ـ فی شعر الصاحب ـ عظيمة قوية، متميزة بقوة ارادتها و بصفاء وجدانها و نقائه، و برقة احساسها، و بالألم الذی يعتصرها، فاجتمع فيها من الفضائل و المزايا الشیء الكثير الذی يصعب استقصاؤه و حصره، مما حمل الصاحب علی اللجوء، فی بيان مزايا علی ـ كرم الله وجهه ـ الی الاجمال دون التفصيل، فقال: (الصاحب بن عباد، ۱۹۷۴ م، ص ۷۱)

تفصيل عليا ک عسير ـ ر فارض منی بالجمل

بغداد ١٩٨٩ م.
٢ـ الآبی، أبو سعد منصور بن الحسين، ت ٤٢١ هـ ١٠٣٠ م، نثر الدر، تحقيق: محمد على قرنة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١ م.
٣ـ أمين، أحمد، فجر الاسلام، الطبعة العاشرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٥ م.
٤ـ ابن بابويه، محمد بن على بن الحسين، ت ٣٨١ هـ ٩٩١ م، علل الشرائع، قدم له محمد صادق بحرالعلوم، المكتبة الحيدرية و مطبعتها، النجف، ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٣ م.
٥ـ الثعالبی، أبو منصور، عبدالملک بن محمد بن اسماعيل النيسابوری، ت ٤٢٩ هـ١٠٣٨ م، خاص الخاص، قدم له حسن الامين، طبعة جديدة و منقحة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان. د. ت.
٦ـ ابن أبی الحديد، عز الدين أبو حامد بن هبة الله بن محمد بن الحسين، ت ٦٥٦ هـ- ١٢٥٨ م، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبوالفضل ابراهيم، الطبعة الاولى، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابی الحلبی، ١٩٥٩ ـ١٩٦٣ م.
٧ـ أبو حلتم، نبيل خليل، الفرق الاسلامية فكراً و شعراً، الطبعة الاولى، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٤١٠ هـ١٩٩٠م.
٨ـ ابن حنبل، أحمد بن حنبل الشيبانی، ت ٢٤١ هـ-٨٥٥ م. مسند الامام أحمد بن حنبل، المكتب الاسلامی و دار صادر للنشر، بيروت، د. ت.
٩ـ ابن شهر اشوب، محمد بن على بن شهر اشوب المازندرانی، ت ٥٨٨هـ١١٩٢م. مناقب آل ابی طالب، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٧٦ هـ- ١٩٥٦م.
١٠ـ الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، ت ٤١٣ هـ-١٠٢٢م. الارشاد، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.
١١ـ الصاحب بن عباد، اسماعيل بن عباد بن عباس بن احمد بن ادريس ت ٣٨٥ هـ-٩٩٥ م. ديوان الصاحب بن عباد، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، الطبعة الثانية، دار القلم، بيروت، مكتبة النهضة، بيروت، بغداد، ١٣٩٤ هـ-١٩٧٤ م.
١٢ـ ابن الصباغ المالكی، على بن محمد بن أحمد المغربی، ت ٨٥٥هـ-١٤٥١م. الفصول المهمة فی معرفة احوال الائمة، الطبعة الثانية، المكتبة الحيدرية و مطبعتها، النجف الاشرف، ١٣٨١ هـ-١٩٦٢م.
١٣ـ صالح، قاسم حسين، الابداع فی الفن، الطبعة الثانية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ـ أعظمية، ١٩٨٦م.
١٤ـ ضيف، شوقی، العصر العباسی الاول، الطبعة التاسعة، دار المعارف، القاهرة، د. ت.

۱۵ـ الطبری، أبو جعفر محمد بن جریر،ت ۳۱۰هـ-۹۲۲م. تاریخ الطبری، تحقیق: محمد أبوالفضل ابراهیم، دار سویدان، بیروت، لبنان، د. ت.

۱۶ـ طعیمة، صابر، الشیعة معتقداً و مذهباً، الطبعة الاولی، المکتبة الثقافیة، بیروت، ۱۴۰۸هـ-۱۹۸۸م.

۱۷ـ الطوسی، أبو جعفر، محمد بن الحسن، ت ۴۶۰هـ-۱۰۶۸م.

ـ الاقتصاد فیما یتعلق بالاعتقاد، مطبعة الاداب، النجف الاشرف، ۱۳۹۹ هـ-۱۹۷۹م.

ـ تلخیص الشافی، تحقیق: حسین بحر العلوم، مطبعة الاداب، النجف الاشرف، د.ت.

۱۸ـ ابن طولون، شمس الدین محمد، ت ۹۵۳ هـ ۱۵۴۶م. الشذرات الذهبیة فی تراجم الائمة الاثنی عشر عند الامامیة، تحقیق: صلاح الدین المنجد، دار بیروت، دار صادر، بیروت، ۱۳۷۷ هـ ۱۹۵۸م.

۱۹ـ الفیروز آبادی، مجد الدین محمد بن یعقوب، ت ۸۱۷ هـ۱۴۱۴ م. القاموس المحیط، الطبعة الثانیة، الموسسه العربیةللطباعة و النشر، بیروت، لبنان، د. ت.

۲۰ـ القاضی، النعمان. الفرق الاسلامیة فی الشعر الاموی، دار المعارف بمصر، القاهرة، د. ت.

۲۱ـ القندوزی الحنفی، الحافظ سلیمان بن ابراهیم، ت ۱۲۹۴هـ۱۸۷۶م. ینابیع المودة، تقدیم: محمد مهدی السید حسن الخرسان، الطبعة السابعة، المکتبة الحیدریة و مطبعتها، النجف، ۱۳۴۸هـ۱۹۶۵م.

۲۲ـ النسائی، أبو عبدالرحمن، أحمد بن شعیب، ت ۳۰۳ هـ۹۱۵ م. کتاب خصائص أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب کرم الله وجهه، الطبعة الاولی، دار الکتاب العربی، بیروت،، ۱۴۰۷هـ۱۹۸۷م.